السّنة: 2 ماستر شعبة: اللّسانيات العربية الفوجان: 8 + 9 السّداسي: الثّالث

المقياس: القراءات القرآنية و الأصوات دروس نظرية

المرحلة: الثّانية **الأستاذ:** عبد الوهّاب شيباني

التغيّـر في أصوات الكلمة و حركاتها

محاضرة: التغيّـر في أصوات الكلمة و حركاتها:

المراد بأصوات الكلمة الصّوامت، و هي الأصوات التّي تحدث نتيجة احتكاك في مكان ما من جهاز النّطق، و هي الأحرف الصّحيحة في العربية[1]. و قد درس الاختلاف بين الصّوامت علماؤنا الأوائل و صرّحوا بوجود اختلاف دلالي بين الألفاظ ذات الصّوامت المختلفة، و رأوا أنّ معاني الأصوات القويّة تنتظم للتّعبير عمّا يناسبها من دلالات. و الأصوات الضّعيفة لما يتّفق معها، من ذلك قولهم: " الوسيلة " و" الوصيلة "، و " السّعيد " و " الصّعيد "، فالصّاد أقوى من السّين لما فيها من استعلاء. و " الوصيلة " أقوى من معنى " الوسيلة "، و ذلك أنّ التوسّل ليس عصمة الوصل و الصّلة، و التّوسّل معنى يضعف و يصغر أن يكون المتوسّل جزءًا كالجزء من التوسَّل إليه، جعلوا الصّاد لقوّتها للمعنى الأقوى، و السّين لضعفها للمعنى الأضعف[2]. و كذلك لفظا: " صعيد " و " سعيد "[3].

فالصّوت الأقوى للفعل الأقوى، و الصّوت الأضعف للفعل الأضعف، و قديمًا كانوا يردّدون فعلَيْ " قضم " و " خضم " كمثال لهذه القاعدة، إن جاز لنا ذلك[4].

و التغيّـر هنا يعني أيضًا التّغاير في الصّوامت، أو الإبدال، أو الاستبدال - كما سبق -، و غير ذلك ممّا له علاقة بالتّغيير، و قد انتقيت لتوضيح التغيّـر في أصوات الكلمة

---

(1) الأصوات اللّغوية: ص 26. و مناهج البحث اللّغوي: ص 101.

(2) مبادئ اللّسانيات: أحمد محمّد قدّور، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1996: ص 143. و علم الدّلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1988: ص 143.

(3) أثر الاستبدال الصّوتي في التّعبير القرآني: خميس فزاع عمير، مجلّة جامعة تكريت للعلوم، العراق، المجلد 19، العدد 5، أيار (ماي) 2012: ص 273.

(4) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد عليّ النّجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ - 1983م: 1/ 65.

(الصّوامت) عيّنةً من الآيّ الحكيم، أسرُدها على النّحو الآتي:

1- التّغاير بين الصّاد و الضّاد:

قال الله تعالى: ﴿ **وَ لَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ...**﴾ [الأعراف: 52]. و في هذه الآية تغاير بين (الصّاد و الضّاد)، إذ قرأ عاصم الجحدريّ، و ابن السّميفع، و ابن محيصن من طريق البزّي بخلاف عنه: " **فضَّلنَاهُ** " بالضّاد المنقوطة، و المعنى في هذه القرّاءة: فضلناه على جميع الكتب عاملين بأنّه أهل للتفضيل عليها [5].

أمّا قراءة الجماعة " **فَصَّلْنَاهُ** " فمن التّفصيل، أيْ ببيان أخباره من وعد و وعيد، أو ببيان معانيه من أحكام و مواعظ و قصص مفصلة، و قد يكون بإيضاح الحقّ من الباطل [6].

و ذكر أبو معشر الطّبري أنّها لغة بعض أهل اليمن يُبدلون من الصّاد ضادًا، و ردّه الصّفراوي، و رأى أنّه على ظاهره بمعنى فضّلناه و شرّفناه، إذ يمكن حمله على معنى صحيح في جميع لغات العرب، لا على لغة واحدة [7].

و التّغاير بين (الضّاد و الصّاد) واقع في القراءات، فـ " القبضة " غير " القبصة " في لغة العرب، و في قراءة ابن مسعود، و أبيّ بن كعب، و قتادة، و ابن الزّبير، و حُميد، و الحسن، و نصر بن عاصم، و ابن سيرين بخلاف، و أبو رجاء بخلاف، و الأعمش، و معاذ القارئ: ﴿... **فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ...** ﴾ [طه: 96]. " **فقبصت قبصة** " بالصّاد، و هو الأخذ بأطراف الأصابع[8].

---

(5) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري، ضبط و تصحيح محمّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415 هـ - 1995م: 2 / 105، و البحر المحيط: محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تصحيح وعناية الشيخ صدقي محمّد جميل و زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة 1412هـ- 1992م: 5 / 62.

(6) ينظر البحر المحيط: 5 / 62.

(7) نقلاً عن معجم القراءات القرآنية: عبد اللّطيف الخطيب، دار سعد الدّين للطباعة – دمشق – سوريا- دط، 2002: 3/ 65. و الحقّ أنّي لم أعثر على هذا الكلام في كتاب: التّلخيص في القراءات الثّمان: أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصّمد الطّبري (478 هـ)، دراسة و تحقيق محمّد حسن عقيل موسى، مكتبة التوعية الإسلامية، ط 1، 1412 هـ - 2006م: ص 266 و ما بعدها.

(8) ينظر: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي، تحقيق عبد السّلام عبد الشّافي محمّد – دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1413هـ - 1993 م: 4 / 61. و البحر

و قراءة الجماعة " **فقَبَضْتُ قَبْضَةً** " بالضّاد المعجمة، أي أخذتُ بكفّي مع الأصابع. و في محتسب ابن جنّي تفسير صوتيّ لهذا الاختلاف لطيف، يقول: « و هذا ممّا قدّمت إليك في نحوه تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، و ذلك أنّ الضّاد لتفشّيها و استطالة مخرجها ما جُعلت عبارة عن الأكثر، و الصّاد لصفائها و انحصار مخرجها و ضيق محلّها ما جُعلت عبارة عن الأقلّ. و لعلّنا لو جمعنا من هذا الضّرب ما مرّ بنا لكان أكثر من ألف موضع[9]».

و ما يمكن استنتاجه هو أنْ لا تناقض بين المعنيين مع اختلاف الصّامتين من حيث المخرج، فالصّاد صوت مهموس رخو، و مخرجه من بين طرف اللّسان و فويق الثّنايا العليا، و الضّاد مجهور مطبق و مخرجه عند سيبويه (ت 180 هـ) من بين طرف اللّسان و ما يليه من الأضراس[10].

2 – التّغاير بين الباء و النّون:

قال تعالى: ﴿ **وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاح بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ...** ﴾ [الأعراف: 57]. و في هذه الآية تغاير بين (الباء و النّون)، فقد قرأ عاصم الجحدري: " **نُـشْرًا** " بضمّ النّون و سكون الشّين و تنوين الرّاء، و خفّف حرف (العين) كما خفّفها في " **كتْـب** "، و " **رسْـل** "[11].

قال ابن جنيّ: (أمّا " **نُـشْرًا** " فتخفيف " **نُـشُرًا** " في قراءة العامّة، و التّثقيل أفصح، لأنّه لغة الحجازيين، و التّخفيف في النّحو ذلك لتميم)[12].

و الذي حصل في هذه القرّاءة أنّه غاير بين الباء و النّون، فالباء صوت شفوى شديد مجهور

المحيط: 7 / 376. و معجم القراءات القرآنية: عبد اللّطيف الخطيب: 5/ 488.

(9) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق عليّ النجدي ناصف و عبد الفتاح إسماعيل شلبى، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، دط، 1424 هـ - 2004: 2 / 55.

(10) ينظر: الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1402 هـ - 1982 م: 4 / 433 – 436.

(11) ينظر: مجاز القرآن: 2/ 217 هامش 3، و القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث: عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، دت: ص 250.

(12) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 255/1.

منفتح و مخرجه من الشّفتين، و النّون صوت لثوي متوسّط مجهور أنفي منفتح و مخرجه عند سيبويه من طرف اللّسان بينه و بين ما فويق الثّنايا[13].

3 - التّغاير بين الزّاي و الرّاء في " ننشزها " و " ننشرها ":

الرّاء و الزّاي من الأصوات المتقاربة المخارج، فهما ضمن مجموعة أصوات تشتركان في كون مخرجيهما تكادان تنحصران بين أول اللّسان، بما فيه طرفه، و الثنايا العليا، بما فيها أصولها[14].و هما على هذا التقارب لم يحصل بينهما من الإبدال ما يستدعي ذكره من قبل علماء اللّغة[15] باستثناء ما ورد من قوله تعالى: ﴿**... قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ...** ﴾ [البقرة: 259].

و صوت الرّاء العربية لثوي، و مجهور، و مكرّر، و متوسط بين الشّدة و الرّخاوة، و قد عدّه سيبويه شديدًا[16]، والتّكرير، كما سبق، صفة ذاتية في الرّاء، أي أنّها لا تكون فصيحة بدونه، و لكن المبالغة فيه مستقبحة. و يعود تكراره لأنّ التقاء طرف اللّسان بحافة الحنك ممّا يلي الثّنايا العليا يتكرر في النّطق بها، كأنّما يطرق طرف اللّسان حافة الحنك طرقًا ليّنًا يسيرًا مرّتين أو ثلاثًا لتتكوّن الرّاء العربية[17].

بينما صوت الزّاي العربية لثوي كذلك، و رخو، و احتكاكي، و مرقّق، و مجهور يناظر صوت السّين، المهموس، يصفه القدماء إلى جانب الرخاوة بالصفير[18].

فهل لهذا التقارب بين الحرفين أثر في ورود الآية السّابقة في قراءة بالرّاء و في أخرى بالزّاي؟ و ما سبب اختيار الهذلي (ت 465 هـ) لإحداهما و ترك الأخرى؟

---

(13) ينظر: الكتاب: 4 / 433 - 435. و الأصوات اللّغوية: ص 131.

(14) ينظر الأصوات اللّغوية: ص 46.

(15) أثر الإبدال الصّوتي و تغيّر الضّبط الحركي في تنوّع المعنى - القراءات القرآنية مثالاً- محمود حمود عراك القريشي، مجلّة كلّية التربية، جامعة واسط، العدد الحادي عشر: ص 67 و ما بعدها.

(16) الكتاب: 4 / 435.

(17) ينظر: الأصوات اللّغوية: ص 57، 58.

(18) ينظر: الأصوات اللّغوية: ص 68. و علم الأصوات لبرتيل مالمبرج: ترجمة عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1988: ص 109- 126.

جاء في الكامل للهذلي: « **" نَنْشُزُهَا "** بفتح النون و ضمّ الشّين و الزّاي الحسن، و أبو حيوة، و الزعفراني، و المفضّل، و أبان، و هو الاختيار لقوله: **" ثمّ نكسوها لحمًا "**[19]».

و قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو: **" نُنْشِرُها "**[20]، بضم النون الأولى و بالرّاء المهملة. و قرأ عاصم و ابن عامر و حمزة و الكسائي: **" نُنشزُها "** بالزاي[21].

و روى أبان عن عاصم **" نَنشُرُها "** بفتح النون الأولى و ضمّ الشّين و بالرّاء و قرأها كذلك ابن عباس و الحسن و أبو حيوة[22].

فمن قرأها نُنشرُها بضم النون الأولى و بالرّاء فمعناه نحييها، يقال أنشر الله الموتى فنشروا، قال الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ** ﴾ [عبس: 22].

و قراءة عاصم **" نَنشُرُها "** بفتح النون الأولى يحتمل أن تكون لغة في الإحياء يقال نشرت الميت و أنشرته فيجيء نشر الميت و نشرته كما يقال حسرت الدابة و حسرتها و غاض الماء و غضته و رجع زيد و رجعته.

و أمّا من قرأ **" نُنشزُها "** بالزاي فمعناه: نحركها، أو نرفع بعضها إلى بعض للتركيب للإحياء، يقال: نشز و أنشزته. و النشز المرتفع من الأرض، و يعبّر عن الإحياء بالنّشز و

---

(19) الكامل في القراءات العشر و الأربعين الزّائدة عليها: ص 509، و المحرّر الوجيز: 350/1، 351. و البحر المحيط: 2/ 637. و مفاتيح الغيب: 7/ 36.

(20) نسب الفرّاء هذه القرّاءة إلى ابن عباس، ينظر معاني القرآن : 1/ 173، و نسبها أبو عليّ الفارسي إلى ابن كثير و نافع و أبي عمرو. ينظر الحجّة للقراء السّبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد: أبوعليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ تحقيق بدر الدّين قهوجي وبشير جويجاتي، مراجعة عبد العزيز رباح و أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، الجزء الثاني ط1: 1404 هـ - 1984م: 2 / 379 - 382. و حجّة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمّد بن زنجلة – تحقيق سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1399هـ - 1979: ص 144.

(21) النشر في القراءات العشر: 2/ 231، و التبيان في إعراب القرآن: 1/ 210.

(22) مختصر في شواذ القرآن: ص 16، و نسبها الفرّاء إلى الحسن: ينظركتابه: معاني القرآن : 1 / 173 و قال أبو عليّ الفارسيّ: روى عبد الوهاب عن أبان عن عاصم " .كيف نَنشرها " بفتح النون الأولى و ضم الشّين وبالرّاء مثل قراءة الحسن. ينظر الحجّة للقرّاء السّبعة: 2 / 379 - 382. و نسبها أبو حيان إلى ابن عباس و الحسن و أبو حيوة و أبان عن عاصم.
و انظر مجمع البيان: 3/ 315.

الإنشاز لكونه ارتفاعًا بعد اتّضاع[23].

و منه قيل: " قد نَشَز الغلام " إذا ارتفع طوله و شبّ[24]. و نَشَز الرّجل ينشزِ إذا كان قاعدا فقام، وكذلك عرق ناشِز مرتَفع منتَبِر ناشِز لا يزال يضرِب من داءٍ أو غيره، و نشزت المـرأة بزوجها و على زوجها تنْشِز وَتنْشز نُشُوزا، وهي ناشز: ارَتفَعت عليه و أنشز الشيء: رفعه عن مكانه. و إنشاز عظام الميت: رفعها إلى مواضعها و تركيب بعضها على بعض [25]. قال الفراء (ت 207 هـ) في تفسير قوله تعالى: " نُنشزها ": « و الإنشاز نقلها إلى موضعها [26]». و قال أبو جريـر الطبـري (ت 310 هـ):« معناه: كيف نرفعها من أماكنها من الأرض، فنردها إلى أماكنها من الجسد[27]». و المراد: نجعلها بعد بِـلاها و هجـودها ناشـزة ينشـز بعضها إلى بعض، أي يرتفع [28]. و لقد قال أبو علـيّ الفـارسي (ت 377 هـ) أيضًا: « نرفع بعضها إلى بعض للإحياء [29]». و نقل أبو حيان الأندلسيّ (ت 745 هـ) أن معناه: نُنبتها، حيث جاء متّسقا مع استعمال العرب، من ذلك قوله نشز ناب البعير و النشز من الأرض على التشبيه بذلك، و نشزت المرأة كأنّها فارقت الحال التي ينبغي أن تكون عليها، و قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ) [المجادلة: 11] أي ارتفعوا شيئا فشيئا كنشوز الناب فبذلك تكون التوسعة فكأن النشوز ضرب من الارتفاع [30] أّما قراءة الإبدال " نُنشِرها " و" نَنشُرها " فأصل النشور: الحياة بعد الموت، يقال: نَشَر الله الميت ينْشُره نَشْرا ونُشورا وأنشَره فَنَشَر الميت لا غير: أحياه [31].

---

(23) مفردات ألفاظ القرآن: ص 806. و عمدة الحفاظ: 4/ 177 - 179.

(24) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، 1422 هـ - 2001 م: 4/ 617 و ما بعدها.

(25) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، دار الفكر، ط 3، 1994م: 5/ 207، 208.

(26) ينظر معاني القرآن: 1/ 173.

(27) ينظر جامع البيان: 4/ 617 و ما بعدها.

(28) معاني القرآن و إعرابه :1/ 271.

(29) ينظر الحجّة للقرّاء السّبعة : 1/ 472.

(30) ينظر البحر المحيط: 2/ 637.

(31) ينظر الصّحاح : 2/ 563. و لسان العرب: 5 / 207، 208 (نشر).

قال أبو عليّ الفارسيّ: « فتقديره ننشزها برفع بعضها إلى بعض للإحياء و منه نشوز المرأة يقال نشز و أنشزته[32]».

و توصّل إلى أنّ النّشر و الحياةَ و البعثَ و الإرسال تقاربٌ في هذ ا المعنى [33]. أو يكون، عنده أيضًا، جعلَ الموت فيها طيًّا لها، والإحياء نشرا. فهو على هذا مثل: نَشَرتُ الثَوب[34]. و قد رأى الفرّاء من قبل أنّ الحسن قرأ " نَنشرُها " فذهب إلى النشر و الطّيّ، و الوجه أن يقال: أنشر الله الموتى فنشروا إذا حيوا[35].و هي القرّاءة المختارة لدى ثعلب[36].

و أيد الراغب الأصفهاني (ت 425 هـ) ذلك بقوله: « و الحقيقة أن نَشر الله الميتَ مستعار من نَشر الثَّوب[37] ».كما قال واحتج ابن خالوي (ت 370 هـ) لكلتا القرّاءتين، فمن قرأ بالزاي أراد أن العظام إذا كانت بحالها لم تبلَ، فالزاي أولى بها، لأّنها تُرفع، ثم تكسى اللّحم. و الدليل على ذلك قوله تعالى: **(و إليه النّشور)** [الملك:15]، أي الرجوع بعد البلى. أما من قرأ بالرّاء فإن الإعادة في البلى و غيره سواء عليه (فَإِنَّما يقُولُ له كُن فيكُون) [البقرة :117] و دليله قوله تعالى: **﴿ ثمّ إذَا شَاءَ أَنْشرَهُ ﴾** [عبس :22] [38].

و رجّح القرطبي (ت 671 هـ) القرّاءة بالزاي محتجا لذلك بقوله: إذا كان معنى القرّاءتين هو الإحياء، فإن العظام لا تحيا على الانفراد حّتى ينضم بعضها إلى بعض، و الزاي أولى بذلك المعنى إذ هو الانضمام دون الإحياء. فالموصوف بالإحياء هو الرجل دون العظام على انفرادها، و لا يقال: هذا عظم حي، وإّنما المعنى فانظر إلى العظام كيف نرفعها

---

(32) الحجّة للقرّاء السّبعة: 2 / 379 - 382.

(33) الحجّة للقرّاء السّبعة: 2 / 379 - 382.

(34) المصدر نفســه.

(35) معاني القرآن: 1/ 173.

(36) بصائر ذوي التّمييز: 5/ 54 و 57.

(37) مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط 4، 1430 هـ - 2009م: 805.

(38) ينظر الحجّة في القراءات السّبع: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1420 هـ - 1999م: ص 46.

من أماكنها من الأرض إلى جسمِ صاحبها للإحياء [39].

و ذهب القاضي أبو السّعود الحنفي (ت 982 هـ) إلى أنّ تفسير كلتا القرّاءتين " **نُنْشِزها** " و " **نُنْشِرها** " بالإحياء ليس المراد منه معناه الحقيقي إّنما المراد هو كيفية رفع العظام بعضها إلى بعض و ردّها إلى أماكنها من الجسد و تركيبها تركيبًا لائقًا بها، و ذلك بدلالة قوله تعالى: **" ثمّ نَكْسُوها لَحْمًا "** أي نستُرها به كما يستر الجسد باللباس، أما قراءة "نَنْشُرها " بفتح النّون و ضمّ الشّين فقد وافق الفرّاء في كونها ضدّ الطيّ و معناها: كيف نلبسها. و خلُص إلى أن الجملة إمّا حال من العظام أي و انظر إليها مركبةً مكسوةً لحمًا، أو بدل اشتمال أي و انظر إلى العظام كيفية إنشازها و بسطِ اللّحم عليها[40].

و قرأ النّخعي: بفتح النّون، و ضمّ الشّين و الزّاي، و روي ذلك عن ابن عباس، و قتادة. و روي عن النّخعي أيضًا أنّه قرأ بفتح الياء و ضمّها مع الرّاء و الزّاي[41].

قال ابن عطيّة (ت 542 هـ): « و تعلق عندي أن يكون معنى النّشوز رفع العظام بعضها إلى بعض، و إنّما النّشوز الارتفاع قليلاً قليلاً فكأنّه وقف على نبات العظام الرّفات[42]، و خروج ما يوجد منها عند الاختراع، و قال النّقاش ننشزها معناه ننبتها، و انظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت من ذلك نشز ناب البعير، و النّشز من الأرض على التّشبيه بذلك، و نشزت المرأة كأنّها فارقت الحال التّي ينبغي أن تكون عليها و قوله تعالى: ﴿ **وَ إِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا** ﴾ [المجادلة: 11] أي فارتفعوا شيئا شيئا كنشوز الناب. فبذلك تكون التوسعة فكأن النشوز ضرب من الارتفاع. و يبعد في الاستعمال أن يقال لمن ارتفع في حائط أو غرفة نشز[43]».

و نقل أبو حيّان عن بعضهم: « العظام لا تحيا على الانفراد حتى ينضمّ بعضها إلى بعض، فالزاي أولى بهذا المعنى، إذ هو بمعنى الانضمام دون الإحياء، فالموصوف بالإحياء

---

(39) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 3/ 200.

(40) تفسير أبي السّعود أو إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم: للقاضي أبي السّعود محمّد بن محمّد بن مصطفى الحنفي منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 1، 1419 هـ - 1999م: 1/ 303.

(41) المحرّر الوجيز: 350/1، 351. و البحر المحيط: 2/ 637.

(42) ينظر لسان العرب: 5 / 418 مادة (ن ش ر).

(43) المحرّر الوجيز: 350/1، 351.

الرجل دون العظام. و لا يقال: هذا عظم حيّ، فالمعنى: و انظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض إلى جسم صاحبها للإحياء[44]».

و مع سداد هذا التفسير و حصافة هذا الرّأي إلاَّ أنّه لا أولوية لقراءة الزّاي، و الصّواب هو ما ذهب إليه أبو حيّان الأندلسيّ إذ إنّ القرّاءة بالرّاء لديه متواترة، و لا تكون قراءة الزايّ أولى[45]، برغم اختيار أبي القاسم الهذلي " نَنْشُزُهَا" بفتح النون و ضمّ الشّين و الزّاي في قراءة الحسن، و أبي حيوة، و الزعفراني، و المفضّل، و أبان.

و الحق أنّ الاختلاف في المعنى بين هذه القراءات ليس اختلاف تناقض، و إنّما اختلاف تنوع في الفهم أو المعنى، بما يعمق و يثري المراد وضوحا، و انطلاقا من هذا المفهوم ساوى الطّبري [46] بين قراءتي " نُنْشِزها " بضم النون الأولى و كسر الشّين و الزاي المعجمة - و هي ليست القرّاءة التي اختار الهذلي " نَنْشُزُهَا " بفتح النون و ضمّ الشّين و الزّاي - و" نُنْشِرها " بضم النون الأولى و كسر الشّين والرّاء المهملة، و رأى أنّه لا حجّة توجب لإحداهما القضاء بالصّواب على الأخرى، لانقياد معناهما فهما و إن اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى[47].

و يمكن القول أيضا: إنّ قراءة قرآنية قد تبلغ مكانة تتساوى فيها مع قراءة أخرى، فلا توجد حجّة تقضي بصواب إحداهما على الأخرى، و تسوية الطبري بين قراءتي " ننشزها " و " ننشرها " خير دليل.

و الملاحظ أنّ التّغاير الذي مسّ الآية لا يقتصر على الجانب الصّوتيّ فحسب، بل يتعلّق أيضًا بالمستوى الصّرفي، إذ وردت القرّاءة الأولى " نَنْشُزُهَا " بفتح النون و ضمّ الشّين و الزّاي، و جاءت الأخرى " نُنْشِزها " بضم النون الأولى وكسر الشّين والزّاي المعجمة. و هكذا كانت الأولى من باب " فَعَل " " يَفْعُل "، و الأخرى من باب " أفعل " " يُفعِل ". و ليس – كما أسلفنا – بين الصّغتين اختلاف تناقض، خاصّة إذا كان " أفعل " بمعنى " فعل

---

(44) المحرّر الوجيز: 350/1، 351. و البحر المحيط: 2/ 637.

(45) المحرّر الوجيز: 350/1، 351. و البحر المحيط: 2/ 637.

(46) جامع البيان: 4/ 619.

(47) أثر الإبدال الصّوتي و تغيّر الضّبط الحركي في تنوّع المعنى - القراءات القرآنية مثالاً - محمود حمود عراك القريشي، مجلّة كلّية التربية، جامعة واسط، العدد الحادي عشر: ص 67 و ما بعدها.

"، و الزيادة في المبنى في مثل هذه الحال لا تعني بالضّرورة الزيادة في المعنى.

محاضرة تغاير الصّوائت " الحركات ":

الانتقال من الفتح إلى الكسر: (و هو من باب التّغاير في المصوّتات القصيرة " الصّوائت "):

يمكن تفسير هذه الظاهرة في ضوء ما يسمّى بالرّكام اللّغوي [48]، الذي هو بقايا الظّواهر القديمة المندثرة، فقد تكون هذه الظّاهرة هي الأصل المنتشر بين القبائل العربية القديمة في مدّة زمنية من عمر اللّغة العربية، إذ كانت تضبط الكلمة بثلاث حركات، كل قبيلة تأخذ بإحداها، ثم انحصرت تلك الظّاهرة شيئًا فشيئًا، و بقيت هذه الأمثلة القليلة تعبّر عن هذه المدّة الزّمنية، التّي مرّت بها اللّغة العربية [49].

يقول عبده الرّاجحي: « نستطيع أن نعزو الفتح، و هو أخفّ من الكسرة، إلى البيئة المتحضّرة في الحجاز، و نعزو الكسر إلى تميم و أسد و أهل نجد، و هي قبائل بادية لا تنفر من الخشونة[50]».

إلاّ أنّ الفتح و الكسر كلاهما ورد في القراءات القرآنية المنزّلة على سيّد الخلق (صلى الله عليه وسلم) من فوق السّبع الطّباق، قال الله تبارك و تعالى: ﴿ **وللهِ على النَّاسِ حَـجُّ البيْتِ...** ﴾ [آل عمران: 3/ 97]. و قد قرأ حمزة و الكسائي و حفص عن عاصم " حِـج البيت " بكسر الحاء، و قرأ الباقون: " **حَـجّ البيت** " بفتحها، و هما لغتان: الكسر لغة نجد، و الفتح لغة أهل العالية[51]. و قال سيبويه: « قالوا: حَـجّ حِجًّا كما قالوا: ذَكر ذِكرًا[52]».

و يضيف ابن عطيّة بعدما استعرض رأي أبي عليّ الفارسيّ: « بكسر الحاء يريدون عمل سنة واحدة، و لم يجيئوا به على الأصل (أي هو الدّفعة من الفعل)، لكنه اسم له. و أكثر ما التزم كسر الحاء في قولهم ذو الحجّة. و أمّا قولهم: حجّة الوداع و نحوه فإنها على

---

(48) التّطوّر اللّغوي، مظاهره وعلله وقوانينه: رمضان عبد التوّاب، مطبعة الخانجي، 1983، القاهرة: ص 22 – 46.

(49) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 110.

(50) اللّهجات العربية في القراءات القرآنية: ص 130.

(51) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/ 477. و البحر المحيط: 3 / 274. و ينظر: التبصرة في القراءات السّبع: ص463.

(52) الكتاب: 4 / 10.

الأصل[53]».

و في موضع آخر سابق في سورة البقرة نفسها: [2/ 189] يقول ابن عطيّة، و قد عزَا قراءة الكسر لغير القرّاء العشرة: « و قرأ ابن أبي إسحاق: " والحِـجّ " بكسر الحاء في جميع القرآن، و في قوله: " **حجّ البيت** " في [آل عمران: 3/ 97]، قال سيبويه: الحَـجّ كالرَّد و الشّـدّ، و الحِـجّ كالذِّكر، فهما مصدران بمعنى. و قيل الفتح مصدر و الكسر الاسم[54]».

و اختلف اللّغويون حول دلالة الفتح و الكسر في هذه اللّفظة، فقد ذهب الزجّاج و غيره إلى أنّ الحَـجّ بفتح الحاء المصدر، و بكسرها اسم العمل[55].

و الحجّة لمن كسر، في نظر ابن خالويه، أنّه أراد: الاسم، و الحجّة لمن فتح أنّه أراد: المصدر. و معناهما في اللّغة: القصد[56].

و مثلُ قراءة " الحَـجّ " بالفتح و الكسر قراءة " حَـصاده: بالفتح و الكسر أيضًا، قال الله تبارك اسمه و جلّ ذكره في سورة [الأنعام: 6/ 141] ﴿ **... كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُواْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ** ﴾. قرأ ابن كثير و نافع و حمزة و الكسائي: " حِصَادِهِ " بكسر الحاء، و قرأ أبو عمرو و عاصم و ابن عامر: " يوْمَ حَـصَادِهِ ": بفتح الحاء. و هما لغتان مثل: " الصَّـرَام و الصِّـرام ". قال الفرّاء: « بالكسر حجازية، و أهل نجد و تميم بالفتح[57]». و هما أيضًا لغتان في المصدر عند ابن عطيّة الغرناطي [58]».

و مثلهما أيضًا " **الرَّضاعة** " إذ قرئت بالفتح كما قرئت بالكسر، قال عَـزَّ من قائل: ﴿ **وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ...** ﴾ [البقرة: 2/ 233].

---

(53) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/ 477.

(54) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/ 261.

(55) معاني القرآن و إعرابه: 1 / 447. و ينظر: المحرّر الوجيز: 1/ 261. و البحر المحيط: 3 / 274.

(56) الحجّة في القراءات السّبع: ص 112، عند سورة آل عمران: 3/ 97. و ينظر: الخلاف حول لفظة " الوتر " في سورة [الفجر: 89/ 3] فالوتر بالكسر هي قراءة حمزة و الكسائي. ينظر: المحرّر الوجيز: 5 / 436.

(57) حجّة القراءات: ص 275.

(58) المحرّر الوجيز: 2/ 353.

و قرأ أبو حيوة و ابن أبي عبلة و الجارود بن أبي سبرة **" الرَّضاعة "** بكسر الرّاء، و هي لغة كالحَضارة والحِضارة و غير ذلك[59].

و في الشّواذّ ما تغيّرت فيه حركة ما قبل السّاكن أيضًا، نحو ما قرئ به في سورة [النساء: 94/4] في قوله تعالى: **(... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)**، حيث قرأ الحسن[60] و أبو رجاء[61]، و أبان بن زيد عن عاصم، بكسر السّين و إسكان اللاّم: **" ٱلسِّلْمَ "**، و هو الانقياد و الطّاعة[62]. و في القرّاءة المتواترة **" السَّلَمَ "**، و قرأ الجحدري: السّلْم بسكون اللام[63].

و روى يعقوب عن أبي عمرو بن العلاء، **" السّلْم "** بإسكان اللاّم. و قرأ مجاهد: بضمّ السّين و اللاّم " السُّلُم " [64].

و قد قرأ عاصم و أبو عمرو و ابن كثير و الكسائي و حفص: السّلام بألف[65]. و يجوز في نظر الزجّاج[66] أن يكون بمعنى التّسليم، كما يجوز أن يكون بمعنى الاستسلام.

و قرأ نافع و ابن عامر و حمزة و ابن كثير من بعض طرقه و أبو جعفر و خلف[67]، و جبلة عن المفضل عن عاصم، بفتح السّين و اللاّم من غير ألف: " السَّلَـمَ "، و هو

---

(59) المحرّر الوجيز: 1/ 311. و ورد أيضًا في التفسير نفسه: 2/ 32 عند سورة النساء [4/ 23] " وقرأ أبو حيوة من الرِّضاعة بكسر الرّاء ".

(60) البحر المحيط: 4/ 32.

(61) إعراب القرآن: 1/ 482.

(62) البحر المحيط: 4/ 32. و في المحرّر الوجيز: 5/ 122: " إلى السِّلْمِ " قراءة حمزة و أبي بكر عن عاصم و الحسن و أبي رجاء و الأعمش و عيسى و طلحة.

(63) نفسه: 4 / 32، يعني بقراءة الجحدري، السّلْم بسكون اللام، فتح السّين و إلاّ ألحقه بمن قرؤوا " السِّلْمَ " بكسر السّن و إسكان اللاّم.

(64) البحر المحيط: 6/ 581.

(65) البحر المحيط: 32/4.

(66) معاني القرآن و إعرابه: 92/2. و فيه، و يجوز (السّلام) أن يكون بمعنى السِّلم و هو الاستسلام.

(67) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: ص 28، و المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 96/2. و في إعراب القرآن، 482/1، و قرأ أبو رجاء " و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السِّلْم " بكسر السّين و إسكان اللاّم. و قرأ أهل الحرمين و أهل الكوفة "السَّلَمَ". بينما في التيسير في القراءات السّبع: ص 97، قرأ كذلك نافع و ابن عامر و حمزة و الكسائي. و في البحر المحيط، 32/4. قرأ عاصم الجحدري، بفتح السّين و سكون اللاّم " السَّلْم ".

الاستسلام[68]. و يقال بحسب الأخفش فلان سلام إذا كان لا يخالط أحدًا[69].

يرى العكبري أنّ السّلام بالألف التحيّة. و أمّا ما يقرأ بفتح اللاّم من غير ألف، و بإسكانها مع كسر السّين و فتحها، فهو الاستسلام و الصّلح[70].

و هو ما ذهب إليه النحّاس(ت 338 هـ)، و ذلك عنده جائز لأنّه إذا سلم ألقى السّلم، و العرب تقول، ألقى فلان إلى السَّلم أي انقاد و استسلم، و قال الله تعالى، **(ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوَءٍ بَلَىٰ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**[النحل، 87] [71].

و في سورة مريم عليها السّلام، [23/19] **(فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً)**، قرأ ابن كثير: " المِخَاض " بكسر الميم. يقال مخضت الحامل مخاضًا و مخاضاً و تمخّض الولد في بطنها[72].

و يجوز أن يكون مصدرًا في معنى المفتوح، كما يقال، القوَام و القِوام، و الشَّظاظ و الشِّظاظ، و يجوز أن يكون مصدر ماخضَ مثل قاتل قِتالاً[73].

و في سورة [الحج 19/22]، ﴿ **هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ** ﴾، قرأ الكسائي في رواية: " خِصْمَانِ " بكسر الخاء بدلاً من " خَصْمانِ "[74]. و هو أيضًا من باب ما قرئ بكسر فيه الصّامت الأوّل (الفاء).

و مثله كذلك ما ورد عند قول الله تعالى: ﴿**... أو كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا...**﴾ [المائدة: 5/ 95]، فقد قرأ الجمهور: " عَدْل " بفتح العين. و قرأ ابن عبّاس و

---

(68) البحر المحيط: 32/4.

(69) معاني القرآن: 1/ 361 و فيه أيضًا السِّلْم هو الإسلام. و قال بعضهم هو الصلح. و السَّلَم - بفتح السّين و اللاّم - هو الاستسلام.

(70) التبيان في إعراب القرآن: 382/1 .

(71) إعراب القرآن: 1/ 482.

(72) البحر المحيط: 7/ 251.

(73) إعراب القراءات الشّواذ: 2 / 44.

(74) البحر المحيط: 7/ 495.

طلحة بن مصرف و الجحدري بكسر العين، " عِدل "[75]، و هي في مختصر ابن خالويه: قراءة النبيّ (صلى الله عليه وسلم) و ابن عبّاس[76].

و يفرق الزّمخشري بينهما بحيث يكون عدل الشيء ما عادله من غير جنسه، كالصّوم و الإطعام. و عدله: ما عدل به المقدار، و منه عدلا الحمل، لأنّ كلّ واحد منهما عدل بالآخر حتّى اعتدلا، كأنّ المفتوح تسميّة بالمصدر، و المكسور بمعنى المفعول به، كالذبح و نحوه، و نحوهما الحمل و الحمل[77].

و ممّا قرئ بكسر الصّامت الأوّل (الفاء) و فتح الصّامت الثّاني (العين) ما ذكر عند تفسير سورة [المزّمّل: 73/ 6]، ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾، قرأ أبو عمرو و ابن عامر[78]: " وِطَاء " بكسر الواو ممدودة. و قرأ ابن كثير و نافع و عاصم و حمزة و الكسائى: بفتح الواو و سكون الطّاء مقصورة " وَطْئًا "[79]. فالمعنى على هذه القرّاءة، عند الشّوكانيّ، أنّ الصّلاة في ناشئة اللّيل أثقل على المصلّي من صلاة النّهار، لأنّ اللّيل للنّوم[80].

و في البحر المحيط، من قرأ: " وَطْأً " أي أشدّ ثبات قدم و أبعد من الزّلل، أو أثقل وأغلظ على المصلّين صلاة النّهار [81].

و قرأ قتادة و شبل عن أهل مكّة: بكسر الواو و سكون الطّاء و الهمزة مقصورة " وِطْئًا ".

و قرأ خلافًا لذلك ابن محيصن: بفتح الواو ممدوداً، " وَطَاء "[82].

و قرأ أبو العالية، و ابن أبي إسحاق، و مجاهد، و أبو عمرو، و ابن عامر، و حميد، و

---

(75) البحر المحيط: 4/ 368.

(76) مختصر في شواذّ القرآن: ص 35.

(77) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 1/ 665. و ينظر: الظواهر الصّوتية و الصّرفية و النّحوية في قراءة الجحدري: ص 52.

(78) في جامع البيان في القراءات السّبع، 2/ 462، عزاها الدّاني إلى نافع و ابن عامر بدلاً من أبي عمرو. و " قال الوليد عن يحيى: " وطا " ممدودة منصوبة غير مهموزة. و لعلّه يريد أنّ الهمزة مسهّلة غير محقّقة.

(79) السّبعة في القراءات: ص 658. و فتح القدير: 5/ 420.

(80) فتح القدير: 5/ 420.

(81) البحر المحيط: 10/ 314، 315.

(82) البحر المحيط: 10/ 314، 315.

ابن محيصن، و المغيرة، و أبو حيوة: بكسر الواو و فتح الطّاء ممدودة، وهو الاختيار عند الهذليّ (ت 465 هـ) [83].

و المعنى على القرّاءة الثّانية أنّها أشدّ مواطأة، أي موافقة، أي يواطئ القلب فيها اللّسان، أو أشدّ موافقة لما يراد من الخشوع و الإخلاص، و هو من قولهم، واطأت فلاناً على كذا مواطأة و وطاء، إذا وافقته عليه[84].

إذن فهذه القراءات الأربع تقابل اثنتان منها اثنتين، فمفتوح الواو منها اثنتان، " وَطْئًا " و " وَطاء"، و مكسور الواو اثنتان، " وِطْئًا " و " وِطَـاء "[85].

(83) فتح القدير: 5/ 420. و ينظر، الكامل في القراءات العشر و الأربعين الزّائدة عليها: ص 652.

(84) فتح القدير: 5/ 420.

(85) ينظر " الجامع لأحكام القرآن و المبيّن لما تضمّنه من السنّة و آي الفرقان": 21/ 328 ففيه تفصيل لمعاني هذه القراءات.